

وينعل الخوف بالاعصاب فعل الالم تماماً لان الخائف يخشى على حياته فيتألم ولذلك
يصفر ويبرد جلده وينعقد لسانه ويخفق فؤاده وينتصب شعره واذا زاد خوفه فصار رعباً اتسع
مخراه وجمحت عيناه محدقتين بما سبب الخوف وقد تلنتان من جهة الى اخرى على غير هدى
وانقبضت عضلات وجوه وارتمد بدنه كله ثم تفلج عضلاته فيقف كالصم ولا تعود عواصر
امعائه قادرة على ضبط ما فيها

وغني عن البيان انه اذا ظهرت امارات الالم في الوجه وتكررت يوماً بعد يوم وسنة بعد
اخرى سواء كان الالم عقلياً او جسدياً بنيت آثارها فيه غضونًا وارتفاعات وكذلك تبقى الآثار
في الجسم كله فيصفر ويشحب فيمتاز وجه الحزين والمتألم والمختر لغيره عن وجه السرور المرضي
الذي لا يزدرى الناس لكن هذه الآثار قد لا تبقى في الجسم وقد تعرض له لاسباب اخرى
فلا تكون دلائلها صحيحة دائماً

اتلاف الشعوب

تحدث للام بواعث فتألف وبدعوها تباين المصالح والمقاصد فتختلف كما يتنافر شقيقتان
صنوان ويتضار عدوان لدودان "ويستصحب الانسان من لا يلائمه". ولوساد السلام قرناً من
النهر بين البشر لصاقت عليهم الارض بما رحبت "ولولا الوثام لهلك الأنام"
ولقد عجب القوم لما جرى من الاتحاد الثنائي في الشهر الماضي بين دولة انكلترا المسيحية
ودولة اليابان الوثنية فرأيت ان اعرب بهذه المناسبة ما نشره احد مشاهير العمرانيين بداعي
ما هو جار بين الروس والترنيس من حسن الصلات من رسالة نافعة في مجلة "العلم الاجتماعي"
الباريسية تعلق في تقارب الشعوب وتباعدم فلسفة استند فيها الى التجارب والحوادث فحصر
اسبابها في ثلاثة قال ما ترجمته بتصرف :

الاول — الحاجة الى مقاومة عدو عام كلما يثور خصام او سدام بين ثلاثة اشخاص
اذ لا يكون الخصوم في كل المارك الأفرينين . فقد يفض زيد عمرًا وبكرًا ويفض عمرو
زيدًا وبكرًا ويفض بكر عمرًا وزيدًا ولكن اذا حدث حادث بين هؤلاء الثلاثة يتألب اثنان
منهما على الآخر . والاتحاد في العادة يكون بين ضعيفين على قوي . وقد يتفق القويان
ليكونا يدًا واحدة على الضعيف ويا من عائلة التعادي بينهما من اجل تسم اسلايو والاستثمار
بحقوقه على نحو ما جرى عام ١٨٦٤ عقب حرب اعلنتها بروسيا والنمسا على الدانرك قبيل
معركة سادوفا في بوهيميا

وما يصدق على الخصومات بين الافراد يصدق على الفئات بين الامم . ومن خصائص كل دولة ان توطد دعائم الامن في داخل بلادها وخارجها وتحفظ بجماعة الامة اذا اوشكت ان تكون عرضة لتيار مطامع احدى خصياتها . تعمل الدولة في تلك الحال ما كان يعمل امرؤه يدافع عن حقيقته . فتنادي بالثارات وبالفتوحات وان كانت الممالك لا تتصدع من التهديد تصدع الافراد

يعطى الحكام في كل امة اجورهم ليتصاموا ما داموا لا يسمعون من الاغيار غير صدى المكابم . فلا يجيزون القوى الحرية التي امرؤا عليها عند اقل بادرة حتى لا يلقوا الامة جماء في ازمة طويلة الا بعد إيقانهم بانهم يجنون من وراثتها ثمرة ما

وتقدر الدولة المستباح حماها ان تطلب معونة جاريتها . وذلك بان تمنع احداهن بان عدوها هو ايضا عدوهن حتى اذا حصل هذا الاقناع لتألف عصاة لانتفاء ضرر مشترك . وعلى نسبة تلك المنفردات المتحدة المباديء والغايات يتوك تألف بين من اتفقوا على بغض شعب معين ولقد احسن التلاسفة تفسير هذه الحالة فقالوا ان البغضاء تقيض الولاء وان الانسان قد

يسر بشيء ما لعلمه انه مخالف لذوق عدوه . مثال ذلك ان الطليان لما اقتتلوا مع الاحباش منذ بضع سنين وقع شيء من الخصام بين الجالية الطليان والبرازيليين في بلاد برازيل فجعل البرازيليون ينادون " ليخي منليك ملك الاحباش " . وكذلك الشك في بوهيميا فانهم يعتقدون الالمان كل المقت وان لم يجبوا الفرنسيين . فكما سنجت فرصة هتفوا " ليخي فرننا "

طفح التاريخ بمغامرات تقوم دليلاً على صحة هذه الدعوى . فقد تأخى الآينيون والاسباطيون في وقعة سلابينة صدًا لهجمات عدوهم الفارسي المفاجيء . ثم اخذت اسبارطة تعادي اثينا بعد بضع سنين حسدًا منها فاجتمع الطيبيون من ثم مع اللاسيدوميين على معاداة اثينا . ولما ظفرت اسبارطة اتحدت اثينا مع الطيبين

في كل هذه المحالقات تتجلى لك امارات السلطة العامة وان الرأي العام تبع لما يراه المتعاضون على ازمة السياسة . وقد يسبق الرأي العام احيانًا فيصير رجال الحكومة تبعًا له فلا يقولون الا قوله ولا ينطقون الا بلسانه . وقد يعلم الصوت العام من قوة تبعته الى ذلك ترى في الاحابن تقاربًا بين الامم كتقارب اشيجاص لم يتعارفوا ولا غرض لهم الا ان حظهم واحد وهم شركاء في الخطر المحدق بهم

جاء في التاريخ الروماني احسن مثال للحجة التي أسست على قواعد من شانها التثني عن بغض مشترك الا وهي تحالف رومية ومرساليا فان كاتيهما كانا عدوتين للقرطاجيين . فدام

الاخاء متين العرى بين هاتين الجمهوريتين بحيث لم تتمكن الكبيرة من ابتلاع الصغيرة الا بانضمام المرسلين اثناء الحروب المدنية الى حزب القائد بومبينوس

ويحدث التاريخ ايضاً ان قد دام الاتحاد اعماماً طويلاً بين تركيا وفرنسا خلال الحرب التي نشبت بين المانيا وفرنسا . وفيه من العجب ما بلغ حد الغرابة اذ حادت الامتان من أجل هذا التحالف الذي كانت الحال تضطرها الى ابرامه عن العالم المقررة وتناستاً تنوراً استحك من نفوس الفريقين باختلاف الدين والاخلاق والحس

وظهور اعظم الفاتحين هو على الجملة سبب الاتحاد بين اناس ما كانوا يحملون بانضمام بعضهم الى بعض فينشأ هذا الاتحاد اذا المقاومة الاطماع الكبيرة . مثال ذلك اتحاد المدن اليونانية على الاسكندر . واتحاد العشائر الانكليزية على قيصر . واتحاد الرومانيين والفرنك والغوط على اتيلا . واتحاد اوربا تقريباً على نابوليون ما خلا الدانرك وبولونيا فانهما ابنا ان تكونا على هذا الفاتح نكابة باهل اوربا وتشقياً منهم عما ساموها من حطة خسف وقهر

وننتج من هذا القانون المبني على التجارب الصحيحة ان الممالك تتواد على البعد أكثر من توادها على القرب . ولتحالفات التي تطول حياتها هي ما عقد منها بين الممالك المتناحية . وهذا تاريخ فرنسا مثلاً يشهد ان اسكتلندا واسوج وتركي صدقن فرنسا الوثام مما دل على ان الخصومات ألفة القرابات والقضايا لا تقام الا بين الجيران . ولكن قد تحدث هؤلاء الجيران قضايا مع جيران لم يسوا جيراننا فمن السهل الاتفاق مع هؤلاء . فقد كانت فرنسا واسكتلندا كغصنين في دوحه بغضاً بانكثرا وكذلك كانت اسوج وتركي بغضاً بالنسا ومانيا

ومما يدور على الالسة اليوم في اميركا الجنوبية انه سيعقد اتحاد بين فنزويلا وجمهورية اكواتور على كولومبيا الفاصلة بينهما وسيبرم اتحاد آخر موقت بين شيلي والبرازيل على جمهورية الارجنتين التي تفصل بينهما ايضاً

ومن اقوى عوامل الاتحاد بين الروس والفرنيس ان الاملاك الروسية والاملاك الفرنسية لا تكاد تجاور مع كثرة انتشارها على سطح البسيطة . على حين تقرب املاك المانيا من املاك تينك الدولتين فيحدث من جراء ذلك عراك وزراع . وهذه القاعدة ليست دائمة الاطراد بل هي تابعة للاضطرابات والتغيرات التي يدعوا اليها السببان اللذان سنتكلم عليهما بعد عدوة مملكة ما عدوة لصديقة تلك المملكة وان كانتا متباعدتين . لان اصدقاء اصدقائنا اعداؤنا واعداً اعدائنا اعداؤنا . ورب جيران متساكنين يتآخون ورب جيران يخصصون .

يعنى ان مصلحة الامة تاسر بالتحالف تارة مع هذه وطوراً مع تلك

حدا بالفرنسيس الخوف من الاسرة المانكة في النمسا ان تصالحوا مع الترك وبينهم من
العداوة الدينية حوائل ومن الخلق والكره طوائل بل صافوا انكثرا وهي عدوتهم القديمة وبينهم
من الحفائظ ما تسود لوله ييض الايام

ولطالما تطلب الملك فرنسيس الاول عقد تحالف مع انكثرا فلم يتبرأ له ذلك الا على عهد
لويس الرابع عشر. وقصارى القول ان القاعدة العامة بين جارين لا يجبهما جار آخر ان
يوأخي اقلها خطراً دفاعاً عن حوزته وينتاسي الاحتاد للماضية وما يتوقع من الخصومة في الآتي
﴿ الثاني — قرابة الاجناس ﴾ كم من ام تقاربت لا من اصل مشاها بل بالاخيلاط
الذي حصل ويحصل في كل مملكة ودور من ادوار الناس . ولا سبيل لان نجد في خليط من
الناس ساكنين في صعيد واحد احفاد احفاد الجد الاول او اجداداً متشاكلين . وهنا اضاع
علماء الانسان فلسفتهم فلم يستطيعوا ان يحكموا على الناس من جاجهم واشكالها . والثابت ان
كثيراً من الشعوب المتباينة متجاورة كانت او متباعدة يطبع فيها تغلب بعض الشعوب عليها
طابعاً اجتماعياً لا تنفك تعرف به . واللغات من اعظم المشاكلات بين الامم . وكلما تكاثرت
السياحات بتسهيل المواصلات تظهر هذه المشاكلات متجلية باهي صورها وتدعو الى مؤاخاة
عظيمة مشتركة

ربما تعرف الانسان بابن عم له فاحبة بمجرد كونه ابن عمه وبهذا تأسست وحدة ايطاليا.
وهذا الاحساس هو الذي اهاب بالامارات البلقانية الى التنبه وبه قامت الاتحادات الجرمانية
والسلافية واليونانية

ولا تنس حماس الهولانديين للبوير وحسن صلات البرتغال والبرازيل وكيف تصالحت
اليابان مع الصين بعد حربهما الاخيرة

ولا يفوتك ايضاً ما يشهده الروس من السهولة بين قبائل التتار التي اضيفت بلادها
اليهم . وفينلدا لا تزال نائرة منهم لمخالفة هيئتها الاجتماعية للروسين كل مخالفة . فالقيصر
يحياً احسن تحية في سهول سمرقند القاحلة الواحة بما لا يجياً به على بضعة اميال من بطربرج .
ذلك لان الروسي على الحقيقة مغولي متحضر . فكأنه عند انتقاله الى اواسط آسيا دخل داره
وحشر بين جيله وقبيله اذا اردنا ان نتكلم بلسان اجتماعي

وما يستدعي الاعجاب ويستلفت النظر ما حدث من تآلف المان المانيا بالمان النمسا تآلفاً
كان داعية لتسهيل تحالف الثلاثي فان الالمان في بلاد النمسا يولغون الطبقة الحاكمة .
وحكومة تلك البلاد منجذبة باميالها نحو اهالي بروسياهما تخرجت من هذا الميل ونأت عن

توطيدو ولئن كان هذان الشعبان متجاورين فانهما متحابان . ولا بد أن يعرف هذه الحال قلب
 وابدال اذا انتهت الرئاسة الى ابدي السلاف والتشك خاصة وبين هذه الشعوب والامان من
 النفور المستحكم القديم ما يعلم الباحثون مكانة . على ان هذا التبدل ليس كما يتوهم البعض
 قاب قوسين او ادنى لضعف قوة السلاف من حيث الاجتماع ووقوفهم في دون خصوصهم مع
 تفرق كلمتهم وانشقاقهم على انفسهم والمجر الذين يعضونهم اقرب الى الامان منهم اليهم فيما اذا
 استصرخوا لقتال عدو عام

اما ايطاليا فليس لها في النسا اقل ميل على ما علم . وقد دعتهما القاعدة الاولى التي ذكرناها
 ان تلتصق بقطب ود المانيا وان لم تجاورها وهي حامية هبتها اليها الطبيعة . فايطاليا منغممة اذا
 الى النسا بالقوة وحكم التبعية كما انك تضطر الى ان تلتزم على من ينك وبينه برودة اذا صادفته
 عند صديق لك

وما يدعو اليه الجنس من التآلف ظهر من حركة الرأي العام التي عقبته الحروب الاخيرة
 فانك لا ترى امة اوروبية تحمست حتى الخمس لاهل مدعسكر الذين داهمتهم فرنسا ونزلت
 في عقر دارهم ولا لاجل المراكشيين الذين قاتلهم الاسبانيول ولا للدراويش الذين تغلبت
 الحملة الانكليزية المصرية عليهم . ولكن تعال اشهد الاميال التي حازها البوير في اوربا كلها
 بل في انكلترا نفسها

الثالث — رابطة الانكار ✂ يقوى نوع هذا التآلف غالباً في نفوس الشعوب المتحدة
 في سياستها . وربما اشربته القلوب اعظاماً للاحاساس الديني

لا جرم ان مسائل المصالح تبرز احياناً في هذه الاميال التي لا غرض فيها . وقد يحدث
 ان تكون حركة الائتلاف خلقاً بشير تكلف بحيث ينطبق عليها قولهم " ان الطيور على اشكالها
 نفع " وشبيهة الشيء منجذب اليه . ويحدث ان يكون المتعاقدون على اخلاص الولاء عن بعد
 من ام منوعة مؤلفة من المقلوبين على اهرم المقهورين من عدوهم . فلا يأمل الفريق الاول من
 الثاني الا ما ترجوه الكلي من الكلي فانهما تجابان وثباتان الجوى وثباتان في سر هذا
 التحاب كما تحاب الاشرافيون من اي بلد كانوا ويتآخون على اتباع طريقة ما مع اخوانهم في
 البلدان الاخرى

اذا عرف هذا ساع ان نقول انه يمكن التأليف بين المتباعدين من الأمم باتحاد الدين
 خصوصاً في الاعصر التي كانت له على العقول الساطعة النافذة . ولولا هذا التآلف الساسي بذاته
 لم يجر ذلك الاتحاد الذي دعا الى قيام الصليبيين اتحاد لم ينظر فيه الى ما بينهم من الخصومات

وتشاجر الاغراض والوف من دواعي التنافر التي تنوسيت وعُمل بما قيل "عند الشدائد تذهب الاحقاد"

ترى من ذلك ان ما يدعوا الى اهتمام الاوربيين بالحشة واظهارهم صورة منليك بمظهر جاهل وامبراطور هو احتفاظ الاحباش ببقية من النصرانية وهذا التأفف كان مستحقاً ايضاً قبل اكتشاف بلاد الحبشة ايام كارل بنقب عنها الملاّحون البرتغاليون في شواطئ البحر الهندي ولا قائد لهم الا اقايص مدخولة مبهمه

ومثل هذا التأفف حصل بين المسلمين على بعد الديار فقد انتشر في تركيا بل بلغ الهند خبر الهزيمة التي قاسى منها المراكشيون البرّحّين فصار المغول اعداء المسيحيين لما تظاهروا بالاسلامية على انك ترى تيمورلنك انقى على الاتراك انحاء شديداً ومثل بهم تمثيلاً. ولا تنس ان فرنسا يأنها الكاثوليك المشاركة ضد وصاً الموارنة. وما برحت فرنسا حاصلة على بعض النفوذ في الخارج باسم الدين بما يعرفه حق العرفه تاركو الدين من اهل السياسة

ومن انواع التأفف تأفف مبني على وحدة الآراء بين الشعوب الحية والشعوب الماتية وبين الحاضر والماضي فقد يتشبع الجمهوري للجمهوريات اليونانية ويتشبع الملكي للمملكة اليونانية بل قد يتشبع اناس لسويسرا بسبب غايوم نل مساعد الرجال الذين حرروها من سلطة النمسا سنة ١٣٠٧ — وقد يتشبع اناس على البندقية بسبب ذلك المجلس السري الذي كان مؤلفاً من عشرة اشخاص على عهد جمهورية البندقية القديمة

وقد اثني انصار الحكومة الديموقراطية التخمسون على مدينة اسبارطة الديموقراطية مع انها كانت محكومة بملكين والقيق فيها يعامل اعدى ماملة . وكان اعداء الدين يقدسون سقراط واعوانه وقد كان هو ومن لف لفه أكثر تدبناً من الحزب الذي كان يطاردهم . واصبح من الظرف ايام الثورة الفرنسية ان يلعن قيصر وبارك بومبينوس لان هذا دافع عن الجمهورية الرومانية لانقاذها من طامع الى الحكم المطابق مع ان بومبينوس كان يرأس الدابجة العالية من الرومان وقيصر يرأس جمهور الشعب

هذه خلاصة ما سطره الفيلسوف الافرنسي وفيها زبدة الابواب التي تدعوا الى تواد الامم وتباغضها وتأفف القلوب وتفرقها

محمد كرد علي